مجلة العلوم الإنسانية
SUST Journal of Humanities
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

دور الفجوات المفرداتية والمستجدات اللفظية في تشكيل الخطاب السردي لبشرى الفاضل

عبد الماجد عبد الرحمن

جامعة المجمعة– كلية التربية بالمجمعة ، المملكة العربية السعودية

المستخلص :

تتناول هذه الدراسة الدور الذي تلعبه الفجوات المفرداتية والمستجدات اللفظية في تشكيل الخطاب السردي لبشرى الفاضل. الفجوات المفرداتية(lexical gaps) والمستجدات اللفظية(neologisms) هي كلمات أو عبارات افتراضية(غير موجودة في واقع الممارسة اللغوية الآنية، لكنها ممكنة الحدوث، كونها متوافقة مع مجمل القواعد اللغوية للغة المعينة التي أُنتج بها النص، و كذلك القواعد الكلية للغة الإنسانية Universal Grammar) ، في مستوى أعم. تنهل الدراسة،بشكل عام، من تنظير اللغويات الحديثة :الأسلوبية وتوليدية تشو مسكي وعلم اللغة الإدراكي وتحليل الخطاب والنقد الجديد، وبشكل أدق من الصرفيات التوليدية(generative morphology) وبراقماتيات الخطاب(discourse pragmatics)،وكذلك نظرية نحو الخطاب الوظيفي(functional discourse grammar) الحديثة جداً 2008 ،لكيز هينقلفيلد ولاشلان ماكينزي الهولنديين اللذين حاولا ردم الهوة بين الرؤى الشكلانية–التركيبية والرؤى الوظيفية–الدلالية. الهدف المركزي للدراسة هو بيان الدور المهم والمحوري للفجوات المفرداتية والعبارات المستجدة، في تشكيل وبناء الخطاب السردي للقاص والروائي السوداني بشرى الفاضل. تشير الدراسة إلي انتباه الكاتب الذكي إلي الإمكان الدلالي والجمالي الهائل(meaning/aesthetical potential) الذي توفره هذه الفجوات والمستجدات وقدرته على توظيفها في نصوصه السردية المختلفة. كما يدل الحضور العالي لهذه الصيغ اللغوية المستجدة ، على الوعي اللغوي الكبير الذي يتمتع به الكاتب، مجسداً لروح مهجَسة بالخلق الفني الأصيل. وتعتبر الدراسة أن فهم هذا الوعي اللغوي الرفيع المتمظهر، في الخلق اللغوي، عبر هذا الكم الكبير والمتعدد من المستجدات اللفظية والفجوات المفرداتية عند الكاتب،يمثل مفتاحاً ضرورياً لفهم خصائص ومزايا وإمكانات ومحددات خطابه السردي وبنيته الخاصة. وتجد الدراسة، أن جزءاً كبيراً من هذا التوظيف اللغوي الخلاق، قائم على تقنية الإبراز(foregrounding)،ذات الصلة بالانحرافات الأسلوبية و على طريقة التغريب(stylistic deviations and defamiliarisation). هنا، يتجلى الخلق الفني من خلال جعل هذه الصيغ/الكائنات اللغوية لافتة للانتباه بإبرازها، عبر شبكة عريضة من الانحرافات الأسلوبية التي تهدف لجعلنا نرى الأشياء ونحسها وندركها بطريقة عميقة ومختلفة في آن. بالإضافة لأدوارها التركيبية والدلالية والجمالية–الأسلوبية ، تخلص الدراسة إلي دور هذه الصيغ اللغوية المبدعة،في تشكيل معالم نحو النص الكلي

للكاتب، وذلك على أساس دورها المهم في تحديد حركة/وجهة الخطاب(move discourse) وأفعال الخطاب(discourse acts).

ABSTRACT:

This study seeks to probe the role of Lexical Gaps and Neologism in shaping the narrative discourse of the renowned Sudanese writer Bushra al-Fadil. Lexical gaps are a kind of possible\virtual words that are non-existing in the reality of language use, whilst Neologisms are newly invented words that may take the form of missing inflections, or missing equivalence in translation or a new meaning assigned to an old\ already existing word (for the purposes of this study, the two terms Gaps and Neologisms are used interchangeably, notwithstanding the differences between the two).Gaps and Neologisms may be used in narrative discourse and Al-Fadil is one of those very rare writers who have successfully and effectively utilized them. The study not only unveils the writers exceptional skills in inventing these words, but also in making them the most salient shaper of his overall narrative discourse; hence, presumably the key to understanding his grand (overall) text and, arguably, the landmark characteristic of his creativity.In exploring the linguistic, aesthetic, semantic, pragmatic and stylistic features of these gaps and neologisms in the narrative discourse of al-Fadil, the study draws on a multitude of theories\approaches in both macro and micro-level linguistics (Morphology- Syntax Generative\Universal Grammar), Sociolinguistics (Diglossia, code and code-switching/mixing), Discourse, Pragmatics (speech acts, implicatures and discourse moves) and Stylistics (concepts of deviation, foregrounding and defamiliarisation).

The narrative discourse of Buhra al-Fadil abounds in the creative employment of a wide range of lexical gaps and neologisms. For the full investigation of the role and functions of these in the narrative discourse of al-Fadil, more is, undoubtedly, required. Future researchers may reveal more about this role, by taking every single work of the writer in much more depth.

Keywords: *Lexical gaps, Neologisms, Narrative Discourse, Foregrounding, Deviation, Bushra al-Fadil.*

المقدمة :

ليس من شك أن أول ما يلفت نظر قارئ بشرى الفاضل وقد يلهب خياله، هو وجود صياغات لغوية خاصة غريبة ومبدعة تفيض بها نصوصه. وهو أمر لافت لجمهرة القراء والنقاد معاً. وقد كان لمجموعة(فزيولوجيا الطفابيع) التي تحمل مفردة لافتة وغريبة دوراً كبيراً في تحديد الجاذبية الخاصة لهذا الكاتب. لكن قليلة هي المحاولات النقدية التي عرضت لدرس الظاهرة (أبرزها المحاولة النابهة للمياء شمت – جريدة الصحافة السودانية (تصدر لاحقا الطبعة الثانية لمجموعة "أزرق اليمامة")، وهاشم ميرغني في مقالة عن المجموعة ذاتها–جريدة الخرطوم). ولم تخضع هذه الظاهرة اللافتة–في حدود ما وقع لنا– لدارسة علمية منهجية مطولة باستخدام منهجيات اللغويات الحديثة ومنهجيات العلوم المجاورة/البينية.

تأتي هذه الدراسة في إطار محاولة لتلبية هذه الحاجة في الدرس النقدي واللغوي الحديث. تسمى هذه الظاهرة علمياً بالفجوات اللغوية المفرداتية(lexical gaps) والمستجدات اللفظية(neologisms). وهذه الصيغ والتواليف اللغوية التي تقع في أبواب وضروب شتى، ذات وجود افتراضي –إمكاني(

hypothetical/virtual). لكنها غائبة من حيث الواقع والممارسة الحية في المجتمع اللغوي. تحاول هذه الدراسة فحص الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الصيغ اللغوية،في خطاب الكاتب السردي.

يمكن تلخيص هذا في الأسئلة التالية:

-ما هي الفجوات والمستجدات اللفظية؟ وما هو موقعها في إطار التفكير الإنساني العام؟

-ما هي درجة وقيمة حضور هذه الفجوات والمستجدات في نصوص الكاتب السردية بشكل عام؟

-ما هو الدور التركيبي الذي يمكن أن تلعبه هذه الصيغ في تشكيل بنية السرد في خطاب الكاتب؟

-ما هي الوظائف الفنية والجمالية التي تؤديها هذه الفجوات والمستجدات في نصوص الكاتب؟

-ما الشيء العام الذي يمكن أن تكشفه لنا، دراسة هذه الفجوات والمستجدات، فيما يتصل بالسمات الخاصة التي تميز الكاتب بشرى الفاضل عن غيره من الكتاب؟

-ما الجوانب المعرفية والإدراكية العامة التي يمكن استخلاصها من وجود ظاهرة الفجوات والمستجدات ؟

تحاول الدراسة الاشتغال على هذه الأسئلة عبر معالجتها في أجزاء الدراسة المختلفة : مفهوم الفجوات(إطار نظري بين- معرفي، النظام اللغوي، المكون المفرداتي للنظام اللغوي،تصنيف الفجوات والمستجدات اللفظية، حضور الفجوات والمستجدات في نصوص الكاتب،نماذج من الفجوات والمستجدات في نصوص الكاتب، الوظائف الجمالية والفنية للفجوات والمستجدات في نصوص الكاتب ، خاتمة وأخيراً ثبت المراجع باللغتين العربية والانجليزية).

حدود البحث وضوابط الإشارات والاستشهادات التطبيقية بنصوص الكاتب :

من الضروري الإشارة هنا إلى أن الدراسة الحالية لا تحصر نفسها في نص واحد معين من نصوص الكاتب (توصي بذلك للدراسات المستقبلية) ، وإنما تحاول رصد الفجوات اللغوية-حسب تصنيفها المشار إليه في عرض الدراسة- من خلال مسح عام، لا تدعي أنه شامل لجميع نصوص الكاتب، لكنه كاف في حدود أهداف الدراسة وأسئلتها الرئيسة وفرضيتها المحورية في وجود الفجوات اللغوية في نصوص الكاتب وأهميتها في تشكيل البنية العامة لخطابه السردي.

مفهوم الفجوات : إطار نظري بين- معرف :

الفجوات خارج اللغة :

تحتل فكرة الفجوات(lacunae/s) قيمة كبيرة في التفكير الفلسفي والعلمي واللغوي الإنساني منذ أزمنة بعيدة. ففي إطار الفلسفة العربية- الإسلامية، يوجد في فكر المعتزلة ، ما يسمى (بالأعيان الثابتة في العدم) أو (أعيان الممكنات). وقد جاء ذلك ضمن محاولتهم تفسير كلمة (شيء) في الآية(إنما أمرنا إذا أردنا شيئاً أن نقول له كن فيكون). وذلك في محاولتهم تفسير كيفية (التشيؤ) الذي لم يكن بعد- إذ كيف يمكن إطلاق كلمة شيء على ما لم يوجد بعد ؟. خلص المعتزلة إلي وجود "ممكنات" في العدم أطلقوا عليها مصطلح (الأعيان الثابتة في العدم). وهذا ما يسمى أيضاً (بالوجود العدمي) أي هو وجود افتراضي(وجود بالقوة كما في المصطلح الفلسفي). وفيما بعد قام محي الدين بن عربي بتوظيف مفهوم (الأعيان الثابتة /أعيان الممكنات) في نظريته عن تجلى الأسماء الإلهية في الموجودات، وكذلك فكرة النَفَس الإلهي الذي هو (الحروف/اللغة). فلا حصر للموجودات في الكون التي يمكن للأسماء الإلهية أن تتجلى فيها ، لكن هذه الموجودات تبقى موجودة افتراضاً في العدم بوصفها أعيان ممكنات قبل عملية التجلى ذاته ،ولا تأخذ قيمتها الوجودية إلا بعد

هذا التجلى الأسمائي المقدس القديم(راجع كتابي بن عربي: "الفتوحات" و"الفصوص" و كتاب نصر أبوزيد "هكذا تكلم بن عربي" 2006) .

يحيل مفهوم الفجوات، فلكياً، إلى ما يسمى بالثقوب السوداء(black holes). كانت الثقوب السوداء تسمى قبل الفلكي ويلر–الذي أطلق التسمية، بالنجوم المجمدة(frozen stars) — حيث يعتقد بأنها كانت نجوماً كبيرة متوهجة ، قبل أن تنطفئ وتنهار وتموت. تعرف الثقوب السوداء بأنها " تلك المنطقة من الفضاء ذات التركيز الهائل من الكتلة ، بحيث أنه لا يستطيع أي جسم يمر بالقرب منها ،مهما كانت سرعة هذا الجسم، أن ينجو من جاذبيتها"(تعريف Ted Bun). لكي تنجو من جاذبيتها يجب أن تكون سرعتك أكبر من سرعة الضوء(سرعة الإفلات من جاذبية الأرض 11.2 كلم في الثانية) ، وبما أنه لا يوجد شيء أسرع من الضوء (ثمة محاولات حثيثة في الخمس سنوات الأخيرة لاكتشاف شيء أسرع من الضوء لكنها لم تثبت بشكل قاطع حتى الآن) ، فلا شيء يستطيع الفكاك من " الثقب الأسود" ، على الرغم من صغره الهائل. فما يثير الخيال هنا، هو كون الثقب الأسود عبارة عن تجمع هائل من المادة(قد يصل إلي بلايين الكتل الشمسية) في مساحة هائلة الصغر. على حدود الثقب الأسود يوجد شيء اسمه (أفق الحدث Event Horizon). تدخل الأجسام إلي هذا الأفق بسهولة ، لكنها لا تخرج منه أبداً ، حتى الضوء يمكن أن يدخل ، لكن سرعان ما تجذبه قوة هائلة إلي مركز الثقب ، فيذوب هناك إلي الأبد. الثقوب السوداء ، إذا هي "فجوات" هائلة في الكون تبدو متناهية الصغر ، غامضة الأصل(ثمة نظريات كثيرة متوازية ومتجاذبة لتفسير منشئها) وذات تركيز كُتَلي هائل، بحيث لا جسم، يفلت من قبضة جاذبيتها التي لا مثيل لها في الكون. ويعتقد فلكيون أن ثمة علاقة ما ، بين الثقوب السوداء ووجود الفراغات الكونية الهائلة(نصف الكون فراغات). وترتبط الثقوب السوداء، بعكسها – الثقوب البيضاء(White Holes)، ووجودها أكثر افتراضية من الثقوب السوداء. ففي حين، يكون وجود الثقوب السوداء مفترضا لموت أجسام هائلة الشسوع والضخامة، فان هذا الموت يفترض ، في المقابل، ميلاد أجسام كونية هائلة أخرى. حجم الافتراض والافتراضية virtuality، إذاً جزء لا يتجزأ من نسيج هذا الكون ذاته(إن كان الكون الفيزيائي–المادي أو الكون الوجداني النفسي) .

بشرى الفاضل كاتب ذو تفكير وخيال سردي فيزيائي– فلكي. يقول عن نفسه"كان علم الكونيات ولا يزال يأسرني، ولعلك تجد هذا التأثير في مجمل كتاباتي"(موقع sudaneseonline.com). ويتجلى هذا المنحى، في بعض قصصه (جسمان كونيان فوق سماء بندر، عين من السماء).

كما أن لفكرة(الفجوة) حضور في مجالات أخرى : الموسيقى(الصمت في المقطوعة)، القانون(غياب النص/السابقة) وعلم النفس(يستخدم لوصف نوع معين من فقدان الذاكرة يسمى (lacuna amnesia).

الفجوات في اللغة :

لغوياً، مفهوم الفجوات المفرداتية يقوم على نظرية (الغياب المقنن/المشروع). بمعنى أن ثمة كلمات (قد تكون كذلك أصواتاً أو عباراتٍ أو جملاً أو حتى نصوصاً) غير موجودة في الواقع (لا توجد ضمن المخزون اللغوي الواقعي لأي لغة) لكنها تبقى (ممكنات) لغوية. وذلك لأنها تتوافق مع منظومة القواعد الصرفية و النحوية و الدلالية و الصوتية و النصية–التداولية للغة معينة. وقد استفاد المفكر واللغوي الأمريكي تشومسكي من مفهوم هذه الغيابات المقننة (الممكنات)، لإثبات نظريته حول البنية العقلية للغة والارتباط العضوي بين نظامها ونظام العقل الإنساني من جهة ، ولرؤيته حول وجود فصل أو تمييز بين المكونيين (التركيبي

(Syntax) (والدلالي Semantics)، من جهة ثانية. ومن ذلك جملته الافتراضية الشهيرة(colourless reen ideas sleep furiously). فهي جملة صحيحة من الناحية النحوية–التركيبية لكنها معيبة من ناحية الدلالة/المعنى(على عكس: green sleep furiously ideas colourless التي هي ليست صحيحة لا نحوياً ولا دلالياً). وبالمثل، يمكن إيجاد كلمات أو أصوات أو جمل أو حتى نصوص كاملة، تعتبر من قبيل "الغيابات الممكنة" في اللغة العربية. وفي الصوتيات هناك مفهوم اقتران الأصوات وتنافرها أو ما يعرف بال(Phonotactics) ، حيث أن بعض الأصوات يجوز لغوياً اقترانها في حين لا يجوز اقتران أصوات أخرى. هذا المفهوم تطور حديثاً ، لكن الخليل بن أحمد كان قد أشار إليه في كتابه (العين). وينسحب هذا (قواعد اقتران الأصوات وتنافرها) على جميع اللغات في العالم. ويحيلنا هذا ، إلي نظرية الكليات اللغوية أو النحو الكلي(language universals/universal grammar) التي ارتبطت بتشومسكي والناقد واللساني الروسي روبرت جاكوبسون. تنهض الكليات اللغوية على وجود قواعد عامة أساسية ،تشترك فيها جميع اللغات ، وهذه يولد بها الإنسان –فمعرفة الإنسان بها فطرية(innate). وتوجد مساحة(في العقل اللغوي الفطري للإنسان) للفروقات بين اللغات ، وهذه يتعلمها الطفل من خلال التعرض للغة المحددة التي يتكلمها الكبار من حوله(نظرية المبادئ والقيود/الوسائط (Principles and Parameters) عند تشومسكي. المبادئ تمثل منظومة القواعد والسمات المشتركة بين اللغات، في حين أن القيود/الوسائط هي القواعد والسمات التي تختلف فيها اللغات فيما بينها(بعض اللغات تسمح بترتيب نحوى معين لا تسمح به لغات أخرى). وفي نظرية النحو التوليدي ، يوجد كذلك، ما يسمى بالبنيات الصفرية/الفارغة(null constituents)، ومفهوم النسخ الأثرية(trace copies). الأولى تشير إلي البنيات النحوية الصامتة(silent) بمعنى ألا شكل صوتي نهائياً لها، مع أن لها وجود ومظاهر نحوية ودلالية ، فيما تشير الثانية إلى حقيقة أن الجمل العميقة قد تحتوى على وحدات تم ترحيلها إلي مكان آخر في الجملة الظاهرة/السطحية، لكن هذه الوحدات تترك خلفها نسخاً من نفسها، في المكان ذاته الذي تحركت منه، وهذه النسخ ليس لها بروز أو تحقق مادي صوتي خارجي(راجع أدبيات النظرية التوليدية).

النظام اللغوي:

نظام اللغة الإنسانية شديد التعقيد والتركيب، الأمر الذي حدا ببعض اللغويين لتعريف اللغة بأنها "نظام الأنظمة"(system of systems). وذلك لكونها نظاماً يحوى في داخله أنظمة عديدة ، كالنظام النحوي–التركيبي والنظام الدلالي ونظام المفردات(lexicon) ونظام ما يعرف بالتداولية(pragmatics)–الذي يحتوي على القواعد المتصلة بالاستخدام. ومن ناحية أخرى ففكرة (النظام) تستدعى ارتباط اللغة بنظام العقل الإنساني. ومن أشهر النظريات اللسانية التي تعتبر اللغة، في الأساس، بنية عقلية(Mental Construct)، هي نظرية تشومسكي التوليدية–التحويلية (Generative Grammar). بل إن تشومسكي يعتبر أن المدخل الرئيس لفهم وتحليل نظام العقل/الدماغ هو فهم نظام اللغة الطبيعية الإنسانية ، إذ أن تعقد نظام اللغة هو من تعقد نظام العقل. ومن الجدير بالذكر هنا، أن الكيفية التي يشتغل بها نظام العقل الإنساني لا تزال رغم – التطورات الهائلة في العلوم والمعارف بشقيها الإنساني والطبيعي– منطقة مجهولة إلى حد كبير ولا نزال نجهل جل أسرارها (نحن نندهش للسعة الكبيرة لذاكرة الكمبيوتر ، لكن بعض الدراسات الحديثة تشير إلى

أن سعة الذاكرة الإنسانية الطبيعية هي حوالى 10 مليار قيقابايت– 10 billion gigabytes). وخلايا المخ العصبية تقع بين (10 – 100مليار خلية) ، وتملك بينها شبكة علاقات غاية في الضخامة واللانهائية !

يمكن وصف اللغة الإنسانية بأنها بنية عقلية–اجتماعية(socio-cognitive construct). وجميع مكوناتها مرتبطة بالعقل بشكل من الأشكال. ولأغراض هذه الدراسة سنركز على المكون المعجمي–المفرداتي،لكن ذلك سيكون بطريقة متتامة مع المكونات الأخرى وليس بمعزل عنها.

المكوّن المفرداتي–المعجمي ضمن النظام اللغوي:

كل مكون من مكونات نظام اللغة يعمل بشكل معقد جداً. ويعد المكون المعجمي–المفرداتي أحد أهم هذه المكونات. يحتوي هذا المكون الفعّال، على جميع المعلومات المتصلة بكيفية تكوين المفردات وتوليفها(word-formation processes) ونحتها واستيعابها. ويشمل كذلك القواعد الصرفية–الصوتية وقواعد تسمى بقواعد الإطناب/الزيادة(redundancy rules) (Radford,1981, Larson,2010 والمفردات من الأشياء التي يظل الإنسان يتعلمها طوال حياته ، سواء كان ذلك في لغته أم في لغة أجنبية ،فلا سقف ولا حد لها. وما يهمنا بشكل خاص هنا، أن المكون المعجمي يشمل قواعد محددة تتيح لمتحدث اللغة أن ينتج ويستوعب مفردات ليست موجودة في الواقع والممارسة الآنية للمجتمع اللغوي ، لكنها ممكنة التكوين والاستيعاب. وهذا ما يسمى بالفجوات المفرداتية/المعجمية أو الكلمات الافتراضية. وهذه الخاصية مما دعم قول تشومسكي بالتوليدية(وجود النحو العقلي والمعاجم العقلية(mental grammar/dictionaries)، وقوله بالإبداعية(creativity)، بوصفها خصيصة كامنة في اللغة الإنسانية، ومميِّزة لها عن اللغات الاصطناعية ونظم الاتصال الأخرى، والإبداعية صادرة عن خاصية التكرار المبدع لذات الوحدات(recursion)، التي وسوف يأتي عنها تفصيل لاحق في الجزء القادم (تصنيف الفجوات والمستجدات اللفظية).

ثمة نظرية أحدث تقوم على النظرة الآنثروبولوجية و تزعم أن إبداعية اللغة الإنسانية ، منبثقة في الأساس، من مجموع ملكات عقلية وإدراكية–اجتماعية تتمثل في قدرة الإنسان – بخلاف الكائنات الأخرى– على إدارة تنازع المصالح conflict of interests وعلى تميزه بملكة بالتعاون الاجتماعي social co-operation (Bingham, 2011).

تصنيف الفجوات والمستجدات اللفظية :

ثمة أكثر من طريقة ، لتصنيف الفجوات المعجمية والمستجدات اللفظية. فبعض التصانيف تقول أن هناك ثلاثة أنواع من الفجوات: الكلمات غير القابلة للترجمة (untranslatability)، والكلمات ذات الاشتقاق الناقص(missing inflections) ، والكلمات التي ليس لها معنى(nonsense words). كما أن المفردات/اللفظات المستجدة ، قد تكون مجترحات لفظية جديدة تماماً أو كلمات موجودة في الاستخدام العام لكن أُضفي عليها معنى/معانٍ جديدة أو كلمات سُكّت حديثاً عن طريق الاشتقاق. والكلمات الموجودة لكن ألبست معانٍ جديدة، يطلق عليها أيضا الفجوات المفرداتية الخفية(Covert lexical gaps) (Cook,2010). وسك الكلمات والعبارات الجديدة من نوع الفجوات و المستجدات، شائع أيضاً لدى الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات عقلية كالفصاميين(schizophrenics) وكذلك الأطفال المتوحدين(autistic). والذي نحن بصدده هنا، هو الاستخدام القصدي الإبداعي.

ومن الجائز، أيضاً، تفسير الفجوات والمستجدات من حيث هي ظاهرة"لغوية–اجتماعية–عقلية"، من خلال نظرية ريتشارد دوكنز عن "الميمات Memes"(الكلمة نفسها لفظة مستجدة سُكّت على غرار جينات **(Gene)** (Dawkins, 1989) – التي اجترحها لتفسير نشوء وانتقال الوحدات والرموز والممارسات والأنساق الثقافية من جيل إلى جيل ،على غرار دور الجينات البايلوجية في نقل وتوريث الصفات الشخصية. والفجوات والمستجدات، تشكل ، على مستوى التحليل الإدراكي–اللغوي العميق، دليلاً على وجود ما يعرف في أدبيات"التوليدية" بالملكة اللغوية Faculty of Language (القدرة اللغوية الكامنة)، والتي تتمظهر في النهاية في القواعد الكلية Universal Grammar (UG). والملكة اللغوية يقسمهما هوسر وتشومسكي وفيتش (Hauser, Chomsky & Fitch, 2011) إلى صيغتين : صيغة عامة يسمونها (Broad Language Faculty FLB) وصيغة خاصة وأكثر تحديداً يسمونها (Narrow Language Faculty FLN). وفي صيغة (FLN)، ترقد أهم خواص اللغة الإنسانية، على الإطلاق، وهي، كما أشرنا ، خاصية ال (التكرار التوليدي المبدع لذات الوحدات recursion)، وهي إحدى أميز خواص العقل الإنساني المتقدمة ومما يميزه عن باقي الكائنات. والقدرة على التكرار التوليدي ، تتجلى أكثر ما تتجلى في ظاهرة الفجوات والمستجدات اللفظية، علاوة على تجليها في ظاهرة التضمين Embedding(الجمل والعبارات المضمنة داخل جمل وعبارات أخرى) إذ أن المخزون المفرداتي الممكن لأي لغة أكبر وأوسع بما لا يقارن ، من المفردات الموجودة فيها فعلياً ! وخاصية التكرار المبدع ، هي التجلي الأوضح لما يسميه تشومسكي بال (Discrete Infinity)، والتي ترجمت إلى العربية باللانهائية المقننة أو التمايز اللانهائي(المزيني 1986) ، ويمكن ترجمتها أيضا بالتمايز الخلاق. لكن، بعض اللغويين يرون أن هذا التكرار المبدع (recursion) ، ليس مسألة عقلية محضة ، ولها بعد ثقافي–اجتماعي ، كما تشير بعض الدراسات في بعض اللغات. ومن ذلك، دراسة اللغوي ايفريت (Everett, 2009) في لغة (Piraha) وهي قبيلة لا تزال تعيش على الصيد في حوض الأمازون في البرازيل (وجد ايفريت أن لغة البراها لا تتصف بخاصية التكرار الخلاق(recursion) في بينيها النحوية، وحاول بذلك دحض نظرية تشومسكي وهوسر وفيتش) لكن تشومسكي رد عليه لاحقا وسخَف استنتاجاته.

وتوجد أشكال أخرى من الفجوات تسمى فجوات النموذج أو فجوات العبارة(paradigm/phrase gaps). يضاف إلي ذلك صنف آخر، يمكن إدراجه ضمن (شبه الفجوات semi-gaps). ومن ذلك، توظيف ظاهرة الازدواج اللغوي(Diglossia). نقصد بذلك وجود مستويين من اللغة يلعبان أدواراً ووظائف مختلفة، وهما يتعايشان منذ قرون ولا يمكن الاستغناء عن أي منهما(والمستويان هما المستوى الأعلى(الفصيح) والمستوى الأدنى (العاميات المختلفة في المجتمعات العربية). لكن، هذا التفعيل للازدواج لا يأتي تقليدياً عند بشرى الفاضل وإنما يأخذ شكلاً بنائياً وتنظيمياً خاصاً داخل النص الكلي للكاتب، كما سنرى لاحقاً.

وتشكل هذه الفجوات والمستجدات اللفظية بضروبها المتنوعة، إحدى انشغالات علماء المعاجم(**Lexicographers**) ، وعلماء الكمبيوتر واللسانيات الحاسوبية

(computational linguistics) والسايكولوجي وعلوم الإدراك (cognitive sciences). وثمة اختلاف بين هؤلاء، ليس فحسب حول تصنيفها، بل أيضاً حول المدة الزمنية التي يجب أن تستغرقها لتصبح بعدها– تحت شروط معينة– كلمات عادية.

حضور الفجوات اللغوية(المفرداتية) ودورها العام في النص السردي للكاتب:

يحتشد النص السردي لبشرى الفاضل بكم هائل من الفجوات والمستجدات اللفظية.

وقد كان هذا الملمح من الأشياء الأولى التي لفتت نظر القراء والنقاد معاً لهذا الكاتب ذي الوعي اللغوي الخاص الذي يتجلى في محاولاته التي لا تكل للخلق اللغوي الجديد المتجلي في سك مفردات جديدة وغريبة من قبيل(الطفابيع) ومشتقاتها (الطفبوع، الطفبوعة، الطفبوعات، شيزو– طفابيع، الطفلبوعي،الأطفالبوعيين) لا توجد كلمة بتلك الصيغة، لا في المخزون المفرداتي للغة الفصحى، ولا في العامية السودانية ولا في أي من اللغات/اللهجات المعروفة ، لكنها تظل"ممكنة" من حيث كونها لا تخالف مجمل قواعد التصريف–الصوتي العربي. فهذه الكلمة نموذج رائع للفجوة المفرداتية .

ليس من غير اللافت للنظر، أن الكاتب يعد من القلائل جداً– إن لم يكن الوحيد– في العالم العربي الذين وظفوا هذه الصيغ والسكوك اللغوية في الخطاب الأدبي السردي . وفي اللغة الانجليزية اشتهر الكاتب والرياضي الفذ لويس كارول (Lewis Carroll) بقدرته الاستثنائية على سك المفردات الجديدة خاصة في كتاباته وقصائده للأطفال. إن ورود هذه الفجوات والسكوك اللغوية الجديدة في نصوص بشرى الفاضل ، ليس هامشياً أو عابراً ، بل يعد أحد أهم الأعمدة التي يقوم عليها البناء النصي عند ه. وهي دائماً فاعل رئيس في السرد ، إن كان ذلك على مستوى المحتوى السردي أو كان على مستوى التقنيات السردية. أكثر من ذلك، أنها ذات حضور دائم على مستوى النص السردي الكلي للكاتب. خذ ، مثلاً مفردة (الطفابيع) ذات الحضور الدائم والكثيف في قصص كثيرة جداً–خاصة مجموعة (أزرق اليمامة). إذ يمكن اعتبارها(رأس البنية الكبيرة) ومحددة مركزية لوجهة الخطاب السردي برمته.

إن حضور هذه الفجوات بهذه الكثافة والفاعلية يدعم القول أنها تمثل سمة أساسية (defining feature) في النص السردي لبشرى الفاضل. فإذا كان على مستوى نحو الجملة ، لا بد للعبارة من رأس(head)، يمكن القول أن الفجوة أو العبارة/اللفظة المستجدة هي رأس الفقرة أو النص كله – سواء على مستوى نحو النص الخاص– (القصة أو الرواية المعينة) أو مستوى النص العام الكُلّي للكاتب. ونجد هنا، فكرتي فان دايك van Dijk عن التركيبة/البنية الكبيرة (macro-structure) وعن وجهة الخطاب(discourse move) مفيدتين جداً(راجع ذلك في كتابات فان دايك وموقعه الالكتروني). إدراكيا(cognitively) ، تظل هذه البنية الكبيرة فاعلة بشكل مستمر في الذاكرة السردية. كما أن هذا الاستخدام من جهة ، يجعلنا كقراء منقادين منذ البداية للدلالات التي يجترعها الراوي للكلمة المفترضة(الفجوة) أو العبارة المستجدة ، ومن جهة ثانية يجعلنا مشاركين رئيسيين في الحقل الدلالي(semantic field) لهذه الممكنات اللغوية الغائبة ، لكنها حاضرة بعنف في لجة النص السردي. وفي هذا المنحى الأخير ، فالفجوات قد تلعب الدور المركزي في فتح النص على معاني شاسعة وأفق دلالي لا ينضب.

نماذج من الفجوات والمفردات المستجدة في نصوص الكاتب:

لا يكاد يخلو نص(قصة أو رواية– أو حتى مقال عادي أحياناً) للكاتب من شكل ما ،من أشكال الفجوات اللغوية والمستجدات اللفظية . لا يمكننا الإحاطة بكل الفجوات وشبه الفجوات(المتمثلة في الاستخدام المبدع للتوليف والتوليد المفرداتي المستخدمة في نصوص الكاتب ، خاصة أن الكاتب اتجه في نصوصه الأخيرة (منذ رواية " سيمفونية الجراد") إلي تكثيف هذه الفجوات ، ومن ثم كان تعاظم حضورها الشكلي والوظائفي في

نصوصه الجديدة. بل في(سيمفونية الجراد) يكاد النص كله يكون (فجوة كبيرة). ونورد هنا نماذج عامة متفرقة من جملة نصوص الكاتب، لا ندعي بشموليتها للنص الكلي للكاتب. لكن نعتقد، بقدرتها التمثيلية المعقولة لمجمل الفجوات اللغوية في نصوص الكاتب السردية:

- فجوات/مستجدات لفظية من نوع (الكلمات التي لا معنى لها في المخزون المعجمي الراهن وهي سك خالص(totally new /nonsense words):

- الطفابيع ومشتقاتها وتوليداتها الكثيرة (الطفبوع، الطفبوعة، الطفبوعات، شيزو-طفابيع، الطفلبوعي، الأطفالبوعيين).

- رواية سيمفونية الجراد يمكن وصفها بأنها "رواية فجوات" بامتياز بسبب كثافة حضور الفجوات فيها. ومن ذلك- تمثيلاً لا حصراً: الجردة(سنة الجراد) ، الجاغة(ساعة الجراد وهي 39 ق..قبل زمن الجراد الداخلي) ، الجُركم ، جلايين(عدد على غرار ملايين وبلايين) ، جليون(على غرار مليون وبليون). سيمفونية الجراد- بسبب كثافة وفاعلية الفجوات/المستجدات التي فيها- تبدو وكأنها رواية مكتوبة بلغة أخرى غير العربية !! وأحياناً تبدو الجملة الكاملة ، وليس المفردة فحسب، فجوة (sentence-gap)(راجع الرواية).

- فجوات/مستجدات لفظية من نوع السَك الجديد الذي يقوم فيه الكاتب بتحوير قصدي لمعنى كلمة موجودة في المخزون الأدائي الراهن للغة/المجتمع اللغوي ، ويمنحها هذا التحوير- تالياً- هوية صرفية ودلالية وبنائية جديدة . وهذا يقع في بابين: باب الكلمات الفصيحة المحوّرة، وباب تفعيل الازدواج اللغوي باستخدام المفردات العامية بطريقة مبدعة وخاصة جداً.

النحويات (أو التحويرات النحوية): استخدام المصطلحات النحوية بتوظيف دلالتها الحرفية بدلاً عن الدلالة الاصطلاحية القارة في كتب النحو التقليدية ، أو باستثمار ظلال من معانيها الأخرى غير المباشرة. ومن ذلك (التقاء الساكنين- حيث نكتشف في القصة أن الساكنين هما رجلان يستأجران منزلاً واحداً ويلتقيان مصادفة عند بابه) ، ومثل (صيغة منتهى الحمى-

لوصف الملا ريا والسأم الناتج من الاستماع للخطب السياسية الجوفاء ،كما في قصة (ج-ح-خاء)التي هي نوع آخر من التشكيل المفرداتي المستجد (الاختصارات الأبجدية abbreviations). إذ إن ج-ح-خاء ، اختصار ل(مرض جرب الحساسية من الخطب). ومن ذلك أيضاً ، (ها السكت). وفي قصة (بلبوط من مدينة جمجوم-مجموعة فوق سماء بندر) يقول الراوي (وعندما ازداد الغلاء سخونة أكثر فأكثر ، حتى وصل مرحلة الغليان ، وهي "*صيغة منتهى الغلاء*"، وضج السكان من غلوائه، تفتق ذهن الوزير النابه فأنبت حيلة جديدة إثباتا لولائه حيث صك للسلطان بلبوط البلابيط وهي عملة نادرة مصنوعة من زمردة وفئته سبعة ملايين بلبوط، ص. 61). ولا يخفى في كثير من الأحيان، وجود إحالات أخرى عن طريق المعنى المتولد من المفارقة اللفظية(verbal irony) لهذه النحويات.

استخدام الكلمات التي تطابق بين الصوت والمعنى (تسمى لغوياً بال Onomatopoeia). وهنا قد تكون فصيحة أو عامية . ويعتقد في بعض دوائر اللسانيات ، أن هذا النوع من الكلمات يعكس مراحل نشأة اللغة، حينما كان الإنسان يقلد أصوات الطبيعة البكر من حوله. واستخدامها في السرد هنا ،قد يشير إلي نشأة العالم والذاكرة الكونية والعلاقة بين الإنسان والحيوان والنبات. فرواية مثل "سيمفونية الجراد" تسعى بكل طاقتها

الفنية واللغوية وشبقها الدرامي إلي أنسنة الموجودات والكائنات كلها كالجراد ، محيلة بذلك إلي فكرة الوعي/اللاوعي الجمعي في التحليل النفسي. فالصلة وثيقة بين ذاكرة اللغة وذاكرة الإنسان وذاكرة المجتمع. الشغل على طائفة من الالتباسات النحوية أو الدلالية (structural and semantic ambiguities). ومن ذلك ، عبارة (لم يكن ينقصنا شي سوى عدم رؤية الناس). والالتباسات بأنواعها المختلفة تبرز هنا وهناك في سماء النصوص، لكن سحائبها لا تهطل دائماً، وتحتاج لشراكة القارئ الفعّال. وهو باب كبير ، لا تتسع له هذه الدراسة ويحتاج لمعالجة منفصلة.

- تفعيل الازدواج اللغوي(Diglossia) والتحول التشفيري(Code-switching):

كما سلفت الإشارة، تتميز اللغة العربية بظاهرة الازدواج: وجود مستويين يشتغلان في وقت واحد ويؤديان وظائف مختلفة ويتعايشان جنباً إلي جنب منذ قرون. وقد شاع هذا المصطلح منذ استخدام فيرجسون Ferguson له في مقالة بمجلة Word في العام 1959 وتوسع من بعد ذلك .ومن اللغات التي تشارك العربية هذه السمة اليونانية الحديثة والسويسرية ولغة في جامايكا(فرنسية هجين French Creole).

انتبه بشرى منذ بداياته الأولى لفاعلية هذا الازدواج، وراح يوظف المفردات العامية السودانية ويلعب بها بطريقة منتجة داخل النص السردي بحيث باتت تشكل إحدى ملامحه المائزة. ومن هذه الملامح ، استعمال آليات (التحول التشفيري/المزج التشفيري code-switching/mixing) حيث يتم الانتقال من المستوى الفصيح إلي المستوى العامي، أو العكس، خلال الجملة السردية الواحدة. ثمة أنواع مختلفة من هذه الظاهرة اللغوية ، كالتحول التشفيري السياقي(situational code-switching) ، والتحول التشفيري التخاطبي(conversational-code-switching) ، والتحول التشفيري المجازي(metaphorical code-switching). هناك استخدامات مختلفة لجميع هذه الأنواع الثلاثة في نصوص الكاتب. لكن النوع الثالث(المجازي) يأخذ دوراً خاصاً. وهو النوع الذي يسعى المتحدث/الكاتب بموجبه أن يدعى لنفسه موقعاً ما في الفضاء الاجتماعي، أو يلبس لبوساً اجتماعياً أو يتبنى موقفاً سياسياً أو هوياتيا–ثقافياً محدداً. ويتجلى ذلك بشكل أكثر وضوحاً،حين ترد هذه التحولات التشفيرية المجازية خلال حوار الشخصيات في النص. وعلى مستوى آخر، تشير هذه الظاهرة لموقف الراوي وسخريته مما يرى أمامه. ومن ذلك ،ما يأتي ضمن ما يسمى بظاهرة التسمية– العَلَمية (eponymy) التي تنشأ قصداً أو مصادفةً، فتصبح فيما بعد كلمة عامة ضمن المحزون المستخدم، ومن ذلك كلمة ساندوتش(sandwich) في الانجليزية التي كانت اسماً لمكان بعينه في انجلترا يقال أن دوقه أول من استخدم هذا النوع من الطعام، و كثير من أسماء الفلسفات والمذاهب والاكتشافات والنظريات العلمية هي ضرب من هذا النوع من الكلمات. ومن أمثلة ذلك في نصوص الكاتب: الراجين الله(في قصة تحولات نقطة)، الجنرال (ينمة) ، الحاكم (هيمة) الطاغية(ديمة) (في قصة جسر الرسائل الأزرق)، المرأة (المتمحركة)،(هاهينا) .

وثمة طائفة أخرى من المفردات والعبارات يتم توظيفها بطريقة معينة ضمن إطار (الازدواج)، كتفعيل أو تصعيد الأكليشيهات والعبارات العامية إلي مستوى أعلى، ضمن وظائف درامية وفنية خاصة للنص السردي: محندقة(في قصة وليام)، بشيش بشيش، الفلايت، خمة النفس ، وقف دت (في قصة المرأة المتمحركة)، *"راقد هبطرش"*، (في قصة بلبوط من مدينة جمجوم– مجموعة فوق سماء بندر). ومن ذلك أيضاً توظيف عبارات من قبيل (الواو الضكر)، (مقطوع الطاري) ، (شلاقة) ، (معاتلة) ،(ملهوف، بدلالتها العامية) وتوليفات أفعال

من مثل : (يتدجج) ، (يختلج)، (يستمخ)، (يشمشم)،(طمبجها) . وهناك مفردات من قبيل ما يسمى علمياً بالمدمجات(Blends /portmanteau) – ومن أمثلة ذلك في الانجليزية كلمات مثل: **smog(smoke+fog** motel(motor+hotel) ، وفي العربية كلمة (متشائل= متفائل+ متشائم)..حيث تُستولد المفردة من كلمتين أو أكثر . ومن ضروب ذلك في نصوص الكاتب: (حيوالة، من حيوان+آلة)، (هبالة، من هلع+ بسالة)... الخ. ويتم كذلك توظيف مفردات عامية سودانية أخرى ، بطريقة بارعة مثل كلمة "البروة" (وهي قطعة الصابونة التي تصبح ضئيلة جدا من فرط الاستخدام، وذلك في حالة مغترب سوداني يتناوشه أهله ويطلبون منه أن يرسل لهم مبالغ مالية باستمرار، حتى يتلاشى عقله ويذوى جسده نهائيا فيصبح مثل "البروة"– قصة "البروة" ، فوق سماء بندر). وفي قصة كيف اختفى الماحي العدمي ، يسأل الشاب العدمي الماحي، الذي تتساوى لديه جميع الأشياء، عن رأيه في كاتب معين ، فيقول (*ما عندو قشة مرة*) (مجموعة فوق سماء بندر، ص.52).

النحت الارتجاعي(Back-formation):

وثمة ضرب آخر من التشكيل المفرداتي المستجد ، ينتثر هنا وهناك في نصوص الكاتب . وهو أقرب إلي ما يسمى في علم الصرف بالتشكيل/ الارتجاعي(back-formation). هذا النوع من التوليد المفرداتي يقوم بسحب جزء حقيقي أو متخيل من كلمة معينة ليصنع كلمة أخرى أو معنى آخر للكلمة الأصلية. ومن أمثلة ذلك في الانجليزية: توليد الفعل يحرر(edit) من الكلمة الأصلية (editor) بحذف اللاحقة(or). وعلى هذا النسج: burgle (يسطو على منزل ليلاً) من burglar ، (enthuse يتعاطف)من enthusiasm(تعاطف). ومن شاكلة هذه الصياغات والمسكوكات اللغوية عند الكاتب : اشتقاقاته العديدة من المصدر(نمل)– يتنمل، متنمل (الوزير متنمل الأطراف)، نموّلي، النمولة. وكذلك، يتدجج من (دجاج) ويختلج من (خليج). وهنالك ، مجموعة من المنحوتات المفرداتية التي تجمع بين صيغتي (الدمج) و(النحت الارتجاعي) مثل كلمة (الدواء– خانة وجمعها الدوخانات – بمعنى التدويخ!) و(الخُطبخانة– كمكان لتفريغ الخطب السياسية الجوفاء)، و كلمات تجمع بين الدمج و النحت الارتجاعي(بؤسستان).

كما نجد أشكالا صرفية ومفرادتية أخرى في نصوص الكاتب مثل التكرار الصوتي أو النسخ في الكلمة أو ما يعرق في الانجليزية بال (reduplications) أو ال (doubling)، وهي مفردات يتم فيها تكرار المقطع الصوتي في أول المفردة أو وسطها أو آخرها (مثل (هو هو) وغيرها.

الوظائف الجمالية والفنية للفجوات/المستجدات في نصوص الكاتب:

تبقى المهمة الجمالية مركزية في أي عمل فني. وجماليات السرد تتحقق بطرق ومسالك متعددة. إن نصوص بشرى، تنطوي على شبكة من الأدوات والتكانيك الجمالية ، ربما كان أهمها على الإطلاق هذه الفجوات اللغوية بأفرعها وضروبه المختلفة(مفرداتية– نموذجية–عباراتية– ازدواجية– مستجدات لفظية) .

يمكن تلخيص الوظائف الجمالية لهذه الفجوات في نصوص الكاتب فيما يلي:

تمثل الفجوات بصيغها المتعددة شكلاً من أشكال الانحراف الأسلوبي(stylistic deviation). علم الأسلوب(الأسلوبية stylistics) علم بيني (interdisciplinary)– لكن اللغويات والنقد الأدبي هما أبرز شريكين فاعلين في العملية. لا يوجد تعريف متفق عليه بين الأسلوبيين واللسانيين وجمهرة الناقدة لما هو الأسلوب؟.ويمكننا هنا–لأغراض هذه الدراسة– الاكتفاء بتعريف(فيردونك 2003: 4) لدراسة الأسلوب بأنها"تحليل التعبير اللغوي المميز ووصف هدفه والأثر الذي يتركه". الانحراف واحد من العناصر التي تجعل

التعبير اللغوي مميزاً (العنصران الآخران هما عوامل ومؤشرات الانحراف المتجسدة في تقنية "الإبراز"(foregrounding) ومنظومة القواعد(norm). والإبراز هذا يقع في مستويين: مستوى انحرافي(deviational foregrounding) ومستوى غير انحرافي(non-deviational foregrounding) .في الثاني يقوم الكاتب بإبراز وحدة لغوية معينة، عبر تركيزها وإظهارها بحيث تبدو لافتة وساحبة للضوء من رصيفاتها كافة . ومن ذلك، تكرارها في النص مرات ومرات، مثلاً. أما في الأول، فيبرز الكاتب الوحدة اللغوية المعينة من خلال جعلها هاتكة لقواعد ثابتة(نحوية، صرفية، دلالية أو حتى نصية). والانحراف الأسلوبي يشمل جميع أنظمة اللغة(الصوت و الكلمة والنحو والدلالة). ويندرج استخدام الفجوات المفرداتية، في باب الانحراف الأسلوبي على مستوى الكلمة وعلى مستوى نحو النص/الخطاب أيضا. كما أن أنواعاً أخرى من الانحرافات النحوية والدلالية والصوتية ، تمارس وجودها في نصوص الكاتب. بل إن الكاتب يستثمر جمالياً وفنياً في هذه الانحرافات.

تمثل الفجوات مصدراً خصباً لإثراء النص السردي عبر عنصر التهكم والسخرية(irony)الذي توفره وتشتغل عليه. وللتهكم / المفارقة (يُعرّف بأنه الفجوة بين مظهر الأشياء appearance وحقيقتها reality) صنوف عدة وأنواع منها:النوع اللفظي(verbal irony) والنوع الموقفي(situational irony) والنوع الدرامي(dramatic irony). يكمن النوع اللفظي في الاختلاف بين المعنى اللغوي كما يبدو من خلال الكلمات (semantic meaning) والمعنى الحقيقي الذي يريده الكاتب أو الشخصية المتحدثة داخل النص(pragmatic meaning). وقد كانت الفجوات والمستجدات منبعاً مستداماً للسخرية والتهكم منذ برع فيها – كما سلفت الإشارة–الكاتب الانجليزي الشهير لويس كارول الذي اشتهر بقصصه للأطفال ومهارته الحاذقة في استخدام الفجوات اللفظية والمفردات المستجدة. كما عرف عن الكاتب الأمريكي مارك توين Mark Twain براعته الاستثنائية في توظيف المفارقة الساخرة(wittiness) وربما يكون استثمار الكاتب لهذا المورد من خلال المستجدات اللفظية هو مما أوحى لبعض النقاد بأن الرافع الفكاهي لدى الكاتب ربما أعلى مما ينبغي . ليس هذا عيباً، بل هو توظيف رفيع لمورد خصب، تمثله الفجوات والمستجدات اللفظية من واقع طبيعتها.

قد يبدو أن بشرى الفاضل يستخدم النوع اللفظي فقط من التهكم/المفارقة ، لكن مسح نصوصه يكشف أن ثمة تعدداً في استخدام المفارقة والتهكم تشتغل وتتلاقى فيه ضروب عديدة منها اللفظي والموقفي والدرامي. كما أن المفارقة اللفظية تبدو هي الأخرى مدخلاً للأنواع الأخرى عند الكاتب. وتعج قصص الكاتب ورواياته بهذه المفارقات اللفظية الملتبسة، موظفاً، بشكل رئيس، قدراته الكبيرة في سك الفجوات والمستجدات.

يخلط كثير من القراء وبعض النقاد بين التيمة (theme) والموضوع(topic) ويعتبرونهما شيئا واحدا. التيمة هي ما يقوله الكاتب، أو يستنتجه القارئ من الموضوع. والتيمة ليست دائما واضحة بل قد تكون مخفية. يمكن القول أن استخدام هذه الفجوات والمستجدات مكّن الكاتب من توسيع الشقة بين التيمة والموضوع ومنحه بالتالي هامشاً كبيراً لصناعة المعنى بطرائق مبتكرة ومستجدة.

– ومن السمات الجمالية لهذه الفجوات أنها إحدى الأدوات الفعالة في انجاز ما يسمى بالتغريب(defamiliarisation/alienation/estrangement) وهو مصطلح وثيق الصلة بمصطلح "الإبراز" خاصة النوع الإنحرافي منه (deviational foregrounding) .المصطلحان يشيران إلى أن الفن يهدف إلى تجديد علاقتنا بالعالم وبالأشياء وبأنفسنا عبر تمكنينا من إدراكها بطريقة مختلفة ، أي طريقة هاتكة لروتين العادة.

هذا المبدأ الجمالي–الفني تأكد منذ الرومانتيكيين في القرن التاسع عشر وخاصة مرافعة الشاعر شيلي الشهيرة عن الشعر عندما ، أكد إن الشعر ينزع "حجاب العادة عن العالم" إذ يجعلنا ندرك العادي والراسخ كأنه غريبٌ وغير عادي .وقريب من هذا، مبدأ (التغريب) في الدراما عند الألماني بريشت Brecht.

ويمر طريق تجديد العلاقة بين القارئ والعالم، من خلال ضرب حصون الروتين اللغوي، عبر اكتشاف آفاق جديدة أكثر رحابة وسعة، و من خلال سبر أغوار الإمكان(potential) الهائل الذي تذخر به اللغة الإنسانية. ومن ملامح هذا الطريق، عند بشرى هذا "السأم" ، من جمود وتصدع العلاقات الاجتماعية والسلطوية الراهنة، والتطلع لعلاقات بديلة أكثر عدلاً وإنسانية. يتجلى ذلك بشكل خاص، في استخدام الكاتب "للنحويات" و"الازدواج".

يضاف إلى هذه الوظائف، وظيفة نصية (textual function). وعندما نقول نصية/خطابية فإننا نعني المستوى الذي يتجاوز المفردة و العبارة والجملة إلى المستويات الأعلى منها. ومن ذلك الترابط والتماسك(cohesion and coherence)— فوجود هذه الفجوات والمستجدات في نصوص الكاتب يلعب أدواراً مهمة في تماسك نصه الكلي الكبير ، حيث تعلب الفجوة/اللفظة المستجدة هنا دوراً أقرب إلى الدور الذي تلعبه الكلمة الرئيسة في العبارة/الجملة(head of the phrase). ومن هاهنا، يبرز الدور المركزي لهذه الفجوات والمستجدات في تنظيم الخطاب (organization of discourse) لدى الكاتب. وعلى المستوى الإدراكي، فمن وظائف البني الكبيرة (macrostructures)، أنها أسرع في التذكر في عملية معالجة الخطاب(discourse processing) من البني الصغيرة(microstructures). وكما لا حظنا في مفردة (الطفابيع) وظلالها الطويلة، فان الفجوة أو المستجدة اللفظية قد تلعب دوراً محدداً لوجهة/حركة الخطاب والفعل الخطابي لكامل نص الكاتب، حينما ننظر إليه بوصفه وحدة واحدة.

الخاتمة:

خصصت هذه الدراسة لبحث بعض الصيغ والاستخدامات اللغوية الخاصة في خطاب بشرى الفاضل السردي. إن الإطار النظري للدراسة ينهض ،بشكل عام، على مظلة تعددية بين–معرفية ، وبشكل أدق ، على تنظير اللغويات الحديثة(النظرية التوليدية لتشومسكي، والصرفيات والصوتيات وعلم تحليل الخطاب/دراسات الخطاب النقدي ونحو النص/الخطاب الوظيفي والدراسات الأسلوبية). تحديداً، تناولت الدراسة ما يعرف في دوائر اللغويات الحديثة بالفجوات المفرداتية والعبارات المستجدة(lexical gaps/neologisms). الفرضية المحورية هنا، هي أن هذه الصياغات اللغوية المبدعة تلعب دوراً مهماً ومركزياً في تحديد وتشكيل بنية خطاب الكاتب السردي ، وتالياً في تشكيل معالم مفتاحية مهمة لاستيعاب خطابه السردي و لقراءة خريطة نصه الكلي. ومن ذلك، يمكن اعتبارها،بمثابة رأس البنية الكبيرة/الكلية(macro-structure)، أو المحدد لوجهة الخطاب وأفعاله(discourse move/acts)،كما تكشف الدراسات الجديدة في علم تحليل الخطاب ونحو الخطاب الوظيفي(functional discourse grammar) كما عند (Hegenvelt, and Lachlan,2008).

وحاولت الدراسة– عبر سبرها لأنواع مختلفة ومتفرقة من هذه الفجوات والمستجدات اللفظية في نصوص الكاتب ، رصد وظائفها الفنية والجمالية داخل بنية النص السردي للكاتب وتحديد معالمه. وفوق ذلك ودونه، يمكن استنتاج أن هذه المسكوكات والصياغات اللغوية المبدعة والمستجدة، تنم عن روح أصيلة للخلق

الفني،عبر عملية الخلق اللغوي، كاشفة،ليس فحسب، عن تعقد الظاهرتين: الإبداع واللغة، بل،أيضا، عن صلتهما الوشيجة.

البيانات اللغوية لهذه الفجوات والمستجدات كثيرة وغنية، ويمكن أن توفر مادة خصبة لمزيد من الدراسات، التي قد تكشف المزيد عن بنية نصوص الكاتب وجمالياتها. وما انكشف،في هذه الورقة ، يشير إلى أهمية إجراء دراسات علمية مطولة، على مستوى رسائل الماجستير والدكتوراه، فضلاً عن الأوراق العلمية، والدراسات النقدية الأخرى حول خطاب الكاتب ونصه السردي. ويوصى بأن تركز الدراسات المستقبلية على نصوص بعينها (مثل رواية سمفونية الجراد، مثلا) وسبر دور الفجوات في تشكل معالمها الجمالية والسردية والدلالية وغيرها. ومن الممكن، إجراء دراسات مقارنة بين الكاتب، وكتاب عالمين قلة عرفوا بتوظيف الفجوات والمستجدات وكذلك العبارات الملتبسة (لويس كارول، ومارك توين، مثلاً). كما أن نصوص الكاتب غير السردية ، مثل مقالات الرأي في الصحافة اليومية، لا تخلو، أيضاً، من وجود هذه الصيغ المستجدة والفجوات، ويمكن دراستها بشكل مستقل أيضاً.

المراجع :

1. أبو زيد، نصر حامد(2006م)، هكذا تكلم بن عربي، المركز الثقافي العربي، ط3،بيروت.
2. أبو شريفة،عبد القادر و حسين لافي قزق(2000م)، مدخل إلى تحليل النص الأدبي،دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن.
3. الفاضل، بشرى (1990م) حكاية البنت التي طارت عصافيرها، الخرطوم، مطابع التصوير الملون.
4. الفاضل، بشرى(2001م)، أزرق اليمامة الخرطوم، دار عزة للنشر والتوزيع.
5. الفاضل،بشرى (2008م) فيزيولوجيا الطفابيع ، سوريا، مطبعة الصالحاني.
6. الفاضل، بشرى،(2012م) فوق سماء بندر، الخرطوم، مدارات.
7. الفاضل، بشرى، سمفونية الجراد (رواية مخطوطة وصدر الفصل الأول منها في كتاب "قصص بشرى الفاضل: ثلاث مجموعات"، القاهرة ، دار الحضارة).
8. الفاضل، بشرى، نصوص سردية الكترونية مختلفة مأخوذة من مواقع الكترونية مختلفة(ومن ذلك سمفونية الجراد،السفينة الجامحة، حكاية البنت التي طارت عصافيرها– فيزيولوجيا الطفابيع، حالة نصب) .
9. الماكري، محمد(1991م) ، الشكل والخطاب:مدخل لتحليل ظاهراتي،المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء.
10. النعمان، طارق(2003م)، اللفظ والمعنى:بين الايدولوجيا والتأسيس المعرفي،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.
11. أمير،عباس(2004م)، العمل الأدبي من المعنى إلي الشكل:مدخل معرفي إسلامي،دار الفكر،دمشق.
12. ابن عربي، محي الدين(2006م)، الفتوحات المكية، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية.
13. ابن عربي. محي الدين(2003م) ، فصوص الحكم، تحقيق عاصم كيالي، دار الكتب العلمية.
14. جماع، فضيلي(1991م) ، قراءة في الأدب السوداني الحديث، صحيفة عمان،مسقط.
15. الفاضل ، بشرى(2001م) ، أزرق اليمامة : نصوص قصصية، ط2 ، عزة للتوزيع والنشر،الخرطوم (طبعت في القاهرة).

16. شمت، لمياء (2001م)، ألعاب اللغة، مقدمة مجموعة أزرق اليمامة ، المأخوذة من جريدة الصحافة السودانية.

17. مرغني، هاشم(بدون تاريخ)، مقال عن مجموعة "أزرق اليمامة" نشر في جريدة الخرطوم،إبان صدورها من القاهرة.

18. يوسف، أحمد(2007م)، القراءة النسقية :سلطة البنية ووهم المحايثة، الدار العربية للعلوم- ناشرون،(منشورات الاختلاف)الجزائر.

19. Awadelkarim, Abdelmagid. (2013). The Role of Lexical Gaps and Neologisms in Language Learning: A Consciousness-raising Perspective. A paper presented at the International European Conference for the Humanities and Language Learning, held in London-Brighton, 18-21, July, 2013, and published in the conference proceedings, pp: 459-470.

20. Baldick, Chris(2008). Oxford Dictionary of Literary Terms. Oxford: Oxford University Press(3rd edn).

21. Bingham, P. (2011). "On the Evolution of Language: Implications of a New and General Theory of Human Origins, Properties and History". In :Larson, R., Depres, V., and Yamakido, H.(eds) The Evolution of Human Language: Biolinguistic Perspectives (3rd printing). Cambridge: Cambridge University Press.

22. Butterworth, Brian.(?). "Hesitation and Production of Verbal Paraphrasias and Neologisms in Jargon Aphasia", Brain and Language,8,133-166.University of Cambridge.

23. Carroll, Lewis(1994). Through the Looking Glass. London: Penguin(see also:www.literature.org, for Alice's Adventures in Wonderland).

Chomsky, N. (1965). Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge, Mass.: MIT Press.

24. Chomsky, N. (1986). Language and Mind New York: Harcourt, Brace & World.

Chomsky, N. (1995). The Minimalist Program. Cambridge, MA: MIT Press.

Chomsky, N. Linguistics and Brain Science .pdf document, www.chomsky.info.

25. Cook, C. Paul.(2010). Exploiting Linguistic Knowledge to Infer Properties of Neologisms. Unpublished PhD Thesis University of Toronto.

26. Crystal, David.(2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics,6th edn. London: Blackwell.

27. Cuddon,J.A.(1991).Dictionary of Literary Terms and Literary Theory. London: Penguin(4th edn).

28. Dawkins, Richard.(1989). The Selfish Gene(2nd edn). Oxford: Oxford University Press

29. Dik, Simon.(1997).The Theory of Functional Grammar .Part 1:The Structure of the Clause. Berlin: Mouton de Gruyter.

30. Dik, Simon.(1997).The Theory of Functional Grammar. Part 2 : Complex and Derived Structures. Ed. K. Hegenvelt. Berlin: Mouton de Gruyter.

Everett, Daniel (2009). "Pirahã Culture and Grammar: a Response to Some Criticisms". Language 85 :405–442.

31. Ferguson, Charles (1959)."Diglossia" . Word 15:325-340.

32. Fontaine, M.(2010). Funny Words in Plautine Comedy. Oxford: Oxford university Press.

33. Fromkin, R.,R. Robert & N. Hyams.(2007). An Introduction to Language. USA: Thomson Wadsworth.

34. Gumperz, J.(1982). Discourse Strategies. Cambridge: Cambridge University Press**.**

35. Hauser, M., Chomsky, N., and Fitch, W. (2011). " The Language faculty: What is it, Who has it, and How did it Evolve ?". In Larson, R.,Deprez, V. and Yamakido, H. *The Evolution of human Language: Biolinguistic Perspectives* (3rd printing). (eds.). Cambridge: Cambridge: University Press**.**

36. Hatch, E. (2001). Discourse and Language Education(6th edn). Cambridge: Cambridge University Press

37. Hegenvelt, K and Machenzie, Lachlan.(2008). Functional Discourse Grammar: A Typologically-based Theory of Language Structure. Oxford: Oxford University Press.

38. John, Alegeo(1991). Fifty Years among the New Words: A Dictionary of Neologism(1941-1991), Cambridge: Cambridge University Press.

39. Larson, K. Richard.(2010). Grammar as Science. Massachusetts: MIT Press

40. Levinson, S.(1983). Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press.

41. Lyons, John.(1977). Semantics(2vols).Cambridge: Cambridge University Press.

42. Lyons, John.(1968).Theoretical Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press.

43. Lyons, John.(1981). Language and Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press

44. Radford, Andrew.(1981). Transformational Syntax. Cambridge: Cambridge University Press.

45. Radford, Andrew.(2004).Minimalist Syntax: Exploring the Structure of English. Cambridge: Cambridge University Press.

46. Tannen, D.(1982).”Oral and literate strategies in spoken and written narratives”.Language,58,1:1-12.

47. Twain, Mark. (1993). Four Complete Novels *(The Adventures of Tom Sawyer, Huckleberry Finn, The Prince and the Pauper, and A Connecticut Yankee in King Arthur's Court*). New York: Gramercy

48. Van Dijk, Teun.(1972).Some Aspects of Text Grammars. A Study in Theoretical Poetics and Linguistics. The Hague: Mouton.

49. Van Dijk, Teun.(1980).Macro-structures: An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse Interaction and Cognition. Hillsdale, NJI :Elbaum.

50. Van Dijk, Teun.(1981).Studies in the Pragmatics of Discourse. The Hague: Mouton.

51. Van Dijk, Teun.(2009).Society and Discourse : How Context Controls Text and Talk. Cambridge: Cambridge University Press.
52. Links:
53. -www. neologisms. us
54. -www.sudaneseonline.com
55. -www.answers.com
56. -sudan-forall.org
57. -www.suanyat.org
58. -www.nawaonline.net
59. -www.discourses.org
60. -www.literature.org
61. -www. chomsky. Info